الفصل الخامس

مؤتمر
قمة الدار
البيضاء

إدارة الصراع
العربى - الإسرائيلى

حول بناء نموذج عربى للتعامل

المبحث الأول: كيف يجب على الجانب العربى أن يُعدّ ويُخطط لإدارة الصراع

المبحث الثانى: أسلوب المواجهة العنيفة بالاستئصال

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

كيف يجب على الجانب العربى أن يُعد ويُخطط لإدارة الصراع

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع :

«مؤتمر قمة «الدار البيضاء» حدث حاسم ـ يفصل بين ما قبله وبعده، ما قبله عرفناه ونستطيع أن نحدد خصائصه فى حقائق واضحة، ليست موضع مناقشة تدور حول العديد من العناصر، ولكن أبرزها أربعة أساسية.

الأول ـ و ضوح الدور المصرى البارز هذا فى الصراع، بحيث إنه دون إرادة سلام واضحة من جانب «القاهرة»، فلن يحدث سلام، وكذلك دون وقفة صريحة فى الصدام العضوى، فلا موضع للحديث عن أى تعامل صراعى حول مشكلة الشرق الأوسط. خروج مصر من الصراع يعنى اختفاء الطرف القادر والصالح لمواجهة إسرائيل، فإذا بالساحة تمرح فيها فقط الإرادة الإسرائيلية.

الأمر الثانى ـ أنه رغم الحديث عن السلام، ورغم وقوع مصر فى مصيدة هذا الحديث، فإن الطرف الآخر فى الصدام أى الطرف الإسرائيلى، لم يتزحزح عن موقفه التقليدى قلامة ظفر، إنه يؤمن بأن الحرب قادمة، وإنه لابد من الصدام العنيف بين الجانبين، وإن لم تسع الدول العربية إلى الحرب، فسوف تسعى إليها إسرائيل، وسوف تفرضها «تل أبيب» على المنطقة.

الأمر الثالث ـ إنه من العبث الحديث عن قوى متعاطفة مع الجانب العربى. جميع القوى الدولية تسهم بشكل أو بآخر فى تهيئة الجو لتستطيع إسرائيل أن تحقق أهدافها فى المنطقة حتى أوربا الغربية ـ رغم تظاهرها بعكس ذلك ـ فهى **لا تقف من القضية العربية إلا موقف المتفرج.**

الأمر الرابع ـ أن هناك تغيراً جوهرياً فى علاقات التوازن فى المنطقة، البعض منها لصالح الجانب العربى، والبعض منها لصالح الدولة اليهودية، **فميلاد المجتمع الجماهيرى فى الجانب العربى أزعج القيادات العربية**، والتى كانت ولا تزال رخوة متهافتة على

السلطة، ومن جانب آخر، فإن السلطة الحاكمة فى دولة إسرائيل لم تعد هى تلك القيادات التقليدية المهترئة، ولكن خلفها تقف القيادة العسكرية المهنية الجديدة التى تعمل وتخطط بدقة وبُعد نظر نحو إنشاء إسرائيل الكبرى.

هذه جميعها حقائق أساسية فى عملية إدارة الصراع العربى ـ الإسرائيلى، ولكن الذى يعنينا أساساً كيف يجب على الجانب العربى أن يُعد ويُخطط لإدارة هذا الصراع؟ كيف يستطيع ـ فى ظل الواقع الحالى ـ أن يحقق هدفه من إدارة الصراع؟

لقد انعقد المؤتمر وخرج ولم نسمع كلمة واحدة عن ذلك الموضوع. وتصور البعض ـ ولا تزال القيادات العربية تعيش فى هذا التصور ـ أن مشكلة لبنان مستقلة عن الصراع العربى ـ الإسرائيلى، أو أن مشكلة حرب الخليج بدورها مشكلة أخرى. ما يجب أن نؤكد عليه ـ ونحن نحاول بناء تصور واضح لعملية إدارة الصراع ـ حقيقة ذات أبعاد ثلاثة:

البعد الأول ـ أن جميع المشاكل التى طرحتها القمة تقف خلفها مشكلة إدارة الصراع العربى ـ الإسرائيلى ولنحدد مرادنا:

1 ـ دعوة «مصر» ليس إلا تعبيراً عن توجه معين فى إدارة الصراع. لقد خرجت بعض الكتابات الصحفية المتملقة فى «مصر» تحدثنا عن أن العالم العربى قد اعترف أخيراً بصحة الخطوة التى سارت فيها «القاهرة» خلال الأعوام العشرة الماضية. كلا إن هذا تشويه للحقيقة. **إن معناه أن الجانب العربى لم يعرف كيف يواجه الخطوة الخائنة والفاشلة التى اتخذتها مصر مع الرئيس «السادات».**

2 ـ مشكلة الانتفاضة ومشكلة «لبنان» ومشكلة الخليج جميعها نتائج مباشرة للسلوك غير الواعى، سواء من الجانب المصرى أو من الجانب العربى. فـ «مصر» أخطأت باندفاعها والعالم العربى بدوره أخطأ باندفاعه، فكيف سوف يتم التعامل؟ لقد رأينا أن مشكلة «لبنان» هى توريط لـ «سوريا»، وحرب الخليج هى انزلاق للعراق، وكلاهما تعبير واضح عن النجاح الإسرائيلى. كذلك الانتفاضة ليست موجهة فقط إلى الاحتلال الإسرائيلى، بل هى تذكر القيادات العربية بأخطائها وقصورها وتتحداها.

3 ـ إن موضوع مجالس التعاون الإقليمية هو سلاح بحدين، فكما أنه فى صالح التطور الوحدوى، فقد يقف ضد التطور الوحدوى. إن مجلس التعاون الخليجى كان سبباً فى ترهل العمل العربى المشترك، على مستوى جامعة الدول العربية ومنظماتها. ومجلس التعاون المغربى فى جوهره قد يكون إعداداً لخطوة قادمة، حيث يصير ذلك المجلس بمثابة الحديقة الخلفية لدول السوق المشتركة، ولكن هذه المجالس ـ من جانب آخر ـ قد تكون خطوة فى سبيل التطوير نحو خلق الإرادة العربية الواحدة. إنه قد يعنى فى الأمر البعيد أن تَحُل موضوع عشرين إرادة ـ فقط ثلاث إرادات ـ وهذه خطوة لا يستطيع أحد أن

ينكر فاعليتها، فإلى أين تسير هذه التجمعات؟ هل سوف تخلق عقبة سلبية؟ أم سوف تكون وثبة حقيقية؟. رغم ذلك فمؤتمر القمة اقتصر على الأحاديث العاطفية واللغة الإنشائية، ولم يحدد لنا ما هى الضمانات.

فهل يستطيع الفكر العربى أن يقدم للقيادات نموذجًا للتعامل مع مشكلة الصراع العربى ـ الإسرائيلى؟ وإن لم يكن هذا النموذج ملزمًا للقيادات العربية، فهو على الأقل مدعاة للتساؤل، ولطرح علامات الاستفهام كمقدمة للاتفاق، أو التفاهم على كيفية إدارة هذا الصراع ـ بحد أدنى من التفاهم ـ ولو حول المقدمات والعناصر الأساسية.

البعد الثانى ـ إن محور **تحليلنا للصراع العربى ـ الإسرائيلى وإدارته هو ضرورة وضع حد للوجود الإسرائيلى ـ يجب أن تختفى إن آجلا أم عاجلا ـ وإن اختفاء إسرائيل هو منطلق التاريخ الذى لا رجعة فيه. إن وجود إسرائيل فى المنطقة هو الوضع غير الطبيعى الذى ترفضه طبيعة الأشياء. كذلك فإن كل حديث آخر عن السلم أو التفاوض ليس إلا نوعا من التكتيك، الذى لا يجوز أن يفقدنا النظرة البعيدة المدى، والتى خلاصتها الاستئصال العضوى للدولة العبرية. على أنه يجب أن يكون واضحا:**

أ ـ أن هذا الحديث يتجه إلى الدولة الإسرائيلية، وليس إلى الشعب اليهودى. يجب ألا نخلط بين الدولة ذاتها ككيان غير طبيعى، ولا موضوع له فى منطقة الشرق الأوسط والمجتمع أو الشخص اليهودى، فهذا موضوع آخر يملك حقوقه، بل ويملك امتيازاته.

ب ـ إدارة الصراع بهذا المعنى تفترض استبعاد ـ ولو مؤقتًا ـ جميع المشاكل الأخرى ليس بمعنى إلقائها، ولا بمعنى تأجيلها، ولكن بمعنى وضعها فى مرتبة ثانوية وفرعية.

المحور الذى يجب أن تدور حوله جميع جهودنا وقدراتنا فى المرحلة القادمة، هو إلغاء الوجود الصهيونى الإسرائيلى.

جـ ـ إن إلغاء أو استئصال إسرائيل لا يكفى بخصوصه، نزع الصفة الصهيونية من الدولة العبرية، هذا لا يكفى، فهى دولة توسعية، وما يجب أن نضع له حدًا هو إمكانيات التوسع المستمرة التى أثبتت إسرائيل أنها لا تستطيع أن تعيش دون أن تمارسها.

يوم أن يختفى من الفهم الإسرائيلى مفهوم التوسع، فإن إسرائيل تفقد جوهرها؛ ولذلك يجب أن يُستأصل هذا الكيان.

البعد الثالث ـ علينا ألا نخلط بين فلسفة إدارة الصراع العربى ـ الإسرائيلى ومشكلة الحقوق الفلسطينية. إن الصراع العربى ـ الإسرائيلى يفرض دوائر متعددة وفى إحدى هذه الدوائر القومية، فعلينا أن نتذكر جيدًا أن مشكلة الحقوق الفلسطينية تختفى ـ أو على الأقل تنزل بدورها إلى المرتبة الثانية. إنها حقوق فردية أو جماعية. مشكلة علاقة الجزء

بالكل، ويجب علينا ليس فقط أن نميز بين الجزء والكل، بل يجب أن يكون واضحًا:

أ ـ أن الجزء لا يجوز أن يطغى على الكل، ويرتفع إلى مستوى الكل فى التعامل.

ب ـ أن حل الجزء ليس مما يعنى حل مشكلة الكل.

جـ ـ أن من يمثل الجزء لا يجوز له مهما كانت قضيته مقدسة أن يفرض وجهة نظره المنبثقة من هذا الجزء على الكل.

إن هذا الجانب يجب أن يوظف لصالح الكل وليس العكس.

الثوابت والمنطلقات الأساسية:

ومن ثم، فمنذ البداية هناك مجموعة من الحقائق التى يجب أن يتفق حولها الجميع ولنلخصها:

أولا ـ يجب أن يصير موضوع هذا الصراع هو المحور الأساسى لنشاط جميع الدول العربية ـ خلال الفترة القادمة ـ وأن جميع المشاكل الأخرى يجب أن تؤجل أو تصير ثانوية.

ثانيا ـ أن جوهر الصراع هو ـ فى نهاية الأمر ـ استئصال إسرائيل. نعيدها ونكررها، وهنا يجب أن نميز بين القناعات والتصريحات المعلنة ـ بين الاستراتيجية والتكتيك ـ إذا كان من المقبول عملية التمويه والمناورة وإخفاء الأهداف الحقيقية، فيجب أن تكون قناعة قياداتنا أنه فى خاتمة الأمر، فلابد من استئصال الدولة الصهيونية من المنطقة. يجب وضع حد للوجود التوسعى، وأحلام إنشاء إسرائيل الكبرى، مهما طال بنا أمد الصراع، ومهما تحملنا من تضحيات.

ثالثا ـ أن مدير الصراع يجب أن يُعد نفسه للمنازلة، ومعنى ذلك أنه يجب أن يملك أدوات الصراع، وأن يعرف كيف يتعامل مع الموقف بلغة الأعوام الأخيرة من القرن العشرين. يجب أن يملك الجهاز الدبلوماسى والأداة المقاتلة والقدرة الإعلامية، وأن يتم التنسيق بينها مع توزيع للأدوار، وإتقان لفن الإخراج المسرحى. هذه جميعها عناصر يجب أن يكتسبها بسرعة، وكفى الوقت الذى ضاع، وهى أمور جميعها نحن قادرون عليها.

رابعا ـ كذلك فإن الإطار الدولى المعاصر يملك خصائص معينة. يجب أن نفهمها ونتحرك من داخلها، فالأسرة الدولية لم تعد تقبل مفهوم استئصال الشعوب، ولكنها تقبل استئصال المفاهيم العنصرية، وهذا هو المحور الأساسى الذى يجب أن نفهم كيفية التعامل مع منطلقه. والاتحاد السوفيتى ـ اليوم ـ ليس هو الذى عرفناه حتى الأمس القريب، بل وأوربا ـ السوق المشتركة ـ ليست هى التى عهدناها حتى هذه اللحظة رغم التملق

الواضح. يجب أن نكون على وعى بأن واجبنا هو أن نخترق الإطار الدولى، بحيث نستطيع أن نُحْصِرَ فى دائرة معينة خصومنا، وأن نُطلق أصدقاءنا، وذلك ليس بلغة غوغائية، ولكن بتخطيط وقدرة وفاعلية.

لتكتمل هذه القدرات لابد وأن نُخْضِع تخطيطيًا لإدارة الصراع بالمدرسة العلمية الواعية التى تسمح بتحديد النماذج الفكرية التنظيرية لتلك الإدارة، وبحيث نختار من بينها ذلك النموذج الأصلح لواقعنا ولقدراتنا.

النماذج الفكرية لإدارة الصراع:

من الناحية النظرية المطلقة ـ وقد أخذنا فى الاعتبار المقدمات التى طرحناها فى عرضنا السابق، ومن خلال عناصر ومتغيرات الصراع ـ نستطيع أن نميز بين خمسة نماذج متميزة كل منها يختلف عن الآخر من حيث طبيعته:

أولا ـ نموذج العزل والإحاطة.

ثانيا ـ أسلوب المواجهة بالاستئصال.

ثالثا ـ أسلوب الإذابة من خلال التسلل من الداخل.

رابعا ـ نموذج التتابع فى الإرهاق.

خامسا ـ أسلوب التنقل من نموذج إلى آخر.

نماذج خمسة كل منها له خصائصه. فلنحلل كل نموذج على حدة قبل أن نطرح نظريتنا فى إدارة الصراع العربى ـ الإسرائيلى، وذلك مع ملاحظة أن الأسلوب الخامس يختلط فى الواقع بالأسلوب الرابع، كما سوف نرى تفصيلاً:

نموذج العزل والإحاطة:

ومعنى ذلك إحاطة إسرائيل بسور الصين العظيم، لتصير دول «الجيتو» فى المجتمع المعاصر. جميع الدول المحيطة بها ترفض التعامل معها. المقاطعة الاقتصادية تكمل ذلك، **فكل شركة دولية تقبل التعامل مع إسرائيل تُقَاطَع من جانب جميع الدول العربية**. ولو استطاعت الإرادة العربية أن تتغلغل فى إطار التعامل الدولى فإنها قادرة على فرض العزلة على إسرائيل.

مثل هذا الأسلوب ـ فى الأمد الطويل ـ قاتل، ولكنه يقتصر على إضعاف إسرائيل دون أن يلغى وجودها، وهو أسلوب يفترض ثلاثة أسلحة:

أولا ـ التضامن العربى المطلق فى السياسة الخارجية ـ أى فى التعامل مع القوى الدولية بموقف واحد ثابت.

ثانيا ـ يفترض قدرة الدول العربية ورغبتها فى المنازلة الدولية، ولو السلبية للولايات المتحدة.

ثالثا ـ يفترض أخيراً جهاز على أقصى قدرة من الفاعلية فى التعامل الدولى ـ ليس فقط لخلق العزلة الدبلوماسية حول إسرائيل، ولكن أيضًا لمتابعة المقاطعة العربية.

استخدم الأسلوب خلال الفترة اللاحقة لنشأة إسرائيل حتى عام 1967، ولكنه لم يكن كاملاً فى تطبيقه ـ حيث أصابته الكثير من الثغرات، فـ «تونس» وبعض الدول العربية لم تكن تؤمن بذلك الأسلوب، والجهاز العربى للتعامل الخارجى لم يكن على قدر من الفاعلية، بل إنه فى لحظات معينة ترك إسرائيل وانشغل بالصراع العربى. هذا فضلاً عن أنه لم يكن يملك من عناصر القوة الشىء الكثير ـ خصوصًا وأن هذا الأسلوب يفترض طول النفس. والواقع أنه لو تحققت منطلقات هذا الأسلوب فهو فاعل:

أ ـ لأن إسرائيل بطبيعتها ليست لها حدود سوى مع الدول العربية، وهى من حيث الواقع الإقليمى تمثل بقعة معزولة.

ب ـ ولأن إسرائيل لم تكن فى أى مرحلة من مراحل تاريخها موضع الترحيب والقبول من المجتمع الدولى، بسبب سلوكها الاستفزازى.

جـ ـ والمجتمع اليهودى يملك تراثًا ضخمًا من الكراهية، يمكن توظيفه بذلك الخصوص، ولكن الجانب العربى لم يعرف حتى الآن كيف يستخدم ذلك.

هذا الأسلوب هو خير أسلوب فى لحظات الضعف للجانب العربى، فهو أولاً غير مُكَلِّف. وهو ثانيًا يسمح بالتعامل العنيف من خلال الموقف السلبى، وهو يفرض على إسرائيل فى النهاية. أن تسعى لتحطيم الحصار من حولها، فتصير أمام الرأى العام الدولى دولة معتدية. وهو يمنع إسرائيل إن لم تلجأ للعنف للخروج من حالة الحصار من الانتشار الإقليمى والدولى.

المبحث الثانى

أسلوب المواجهة العنيفة بالاستئصال

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع :

«هذا الأسلوب هو أكثر النماذج وضوحًا فى التعامل مع إسرائيل. محوره الحقيقى هو التجانس فى منطق المواجهة. إسرائيل دولة مغتصبة، ومهما قيل عن قرار التقسيم فهو أولاً صَدَرَ ممن لم يملكه[1]. وهو ثانيًا تأسيس على تلاعب الحقائق، وهو ثالثًا لا يُضفى أكثر من شرعية محدودة. صاحب الأرض من حقه استردادها مهما هُزِم وفقد القدرة على ممارسة حقوق السيادة عليها. إسرائيل تمثل مجتمعًا لا ينتمى إلى المنطقة، تطرق إلى التواجد الجزئى بفضل مساندة قوة استعمارية[2]. وهو لم يزعم ولا يستطيع أن يزعم

(1) لأن «الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا» والدول الأوربية مجتمعة، لا تملك أن تقسم أو تعطى أمرًا بالتقسيم، إلا أنها مؤامرة فى غياب «المارد الإسلامى»، وهى مؤامرة بكل المقاييس، حسب شريعة الغاب، فى ظل غياب شريعة الله عز وجل، وهى مؤامرة بكل المقاييس بدأت منذ أن عرض «هرتزل» مؤسس الصهيونية العالمية على الخليفة العثمانى الرشوة، من أجل أن يعطيه جزءًا من أرض فلسطين، فرفض بكل قوة وقال: «انصحوا الدكتور «هرتزل» بألا يتخذ خطوات جدية فى هذا الموضوع، فإنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين... فهى ليست ملك يمينى، بل ملك الأمة الإسلامية، فليحتفظ اليهود بملاينهم، وإذا مُزِّقت دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن... أما وأنا حى فإن عمل المِبْضع فى بدنى لأهون علىّ من أن أرى فلسطين قد بُترت من دولة الخلافة، وهذا أمر لا يكون، إنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة. التوقيع/ السلطان عبد الحميد الثانى ـ استانبول 1901م» كتاب: «صحوة الرجل المريض» موفق بن المرجه، دار البيارق. الطبعة الثانية عام 1996 ص9. ولذلك أطاحوا بالخلافة العثمانية، وفى غياب الضمائر تمت المؤامرة وتم التقسيم لمن لا يملكه!!

(2) القوة الاستعمارية هى ـ الماسونية العالمية ـ وهى هى الصهيونية العالمية، التى أسسها «تيودور هرتزل» اليهودى البولونى الذى وُلد فى بودابست ـ 1860 ـ 1904 ـ وأقام فى ڤيينا، واشتغل فى التأليف المسرحى والصحافة، وتأثر بقضية الجاسوس الفرنسى اليهودى «دريفوس» وألف كتابه: «ديربود نيشتات»، أى الدولة اليهودية عام 1896م، وترأس أول مؤتمر صهيونى فى «بازل» بسويسرا 28 آب ـ أغسطس ـ 1897، كما قابل السلطان عبد الحميد، فى إطار مساعيه لتوطين اليهود فى فلسطين. والمعروف أن الصهيونية بقيت مفتقرة إلى التخطيط حتى تمكن «هرتزل» من عقد المؤتمر الذى حضره 204 من مندوبى سائر الجمعيات الصهيونية فى مختلف أرجاء العالم. راجع المرجع السابق ص 218 هامش رقم 1.

سوى أن تفتح له أبواب الإقامة المحدودة. لقد كانت هذه الإقامة أو بعبارة أخرى: الهجرة لعوامل إنسانية، وعقب أن تسلل تدريجياً حاول أن يصير صاحب المنزل، بل وسعى بكل إمكانياته وإمكانيات الآخرين لطرد صاحب المنزل الحقيقى[1] وسلبه من حقوقه المشروعة، ومن ثم يصير من الطبيعى والمنطقى أن يستعيد صاحب المنزل حقوقه، وأن يطرد هذا الدخيل، مهما كان قوياً ولو استئصاله من التواجد فى منزله. القانون يقف إلى جواره ولا تستطيع أى شرعية أن تنزع منه حقه فى ذلك، وتتعقد القضية بسبب متغيرين جانبين، ولكن لكل منهما دوره الخطير فى ذلك التعقيد:

الأول ـ أنه فى خلال الفترة اللاحقة على قرار التقسيم ظهرت بوضوح حقيقة الأمة العربية التى تشمل الشعب الفلسطينى، وأضحى الحق فى الطرد والاستئصال ليس فقط حق المجتمع الفلسطينى، بل هو كذلك حق الشعب، ممثلاً فى قياداته الدولية.

الثانى ـ أنه عقب إنشاء إسرائيل ولد من أبناء المهاجرين على أرض إسرائيل جيل جديد أطلق عليه «السابرا»، وهم من منطلق المبادئ المعلنة والمقبولة فى المجتمع المعاصر يصيرون أبناء لتلك الأرض، ولهم حقوق على تلك الأرض.

ولو تركنا جانباً هذين المتغيرين اللذين يُعقدان من أسلوب المواجهة بالاستئصال، فإن مثل هذه المواجهة ـ التى كانت وظلت محور الفكر العربى حتى حرب يونيه 1967 ـ تثير العديد من المشاكل التى يجب أن تكون واضحة فى ذهن المحلل، وهو يتناول هذا النموذج لإدارة الصراع بالتحليل:

1 ـ أول هذه المشاكل : ما معنى كلمة الاستئصال؟ الاستئصال يمكن أن يكون عضوياً أو معنوياً. الاستئصال العضوى معناه القتل أو الطرد، وكل منهما يكمل الآخر. وهو نموذج عرفته الحضارات الإنسانية فى نماذج فقرطاجة استُؤصِلَتْ عضوياً من جانب الرومان بالقتل لكل رجل ولكل أنثى تزيد عن الخامسة عشرة، ومن كُن أقل من تلك السن أُخذن سبايا، ونقلن إلى «روما» لخدمة طبقة النبلاء والقادة. والاستئصال المعنوى حصل بالنسبة لليهود فى روسيا، عندما حدثت محاولة إنشاء دولة يهودية بعد الثورة الشيوعية، وانتهت بالفشل، فعاد المجتمع اليهودى لينصهر فى الدولة الجديدة. وبغض النظر عن النجاح من عدمه، فلا توجد فى دولة الاتحاد السوفيتى أى مظاهر للوجود الصهيونى.

---

(1) وقد رسم «هرتزل» سياسة الاستيطان الصهيوني، فقال في يومياته عام 1895م ما يلي: «يتوجب علينا أن ننزع الملكية الخاصة لأراضي فلسطين من أيدي ملاكها، وينبغي أن يكون ذلك في لطف وفي منتهي السرية والتكتم والحذر الشديد!! وعلينا أن نقوم بتهجير السكان المصريين ـ الفلسطينيين ـ عبر الحدود، بعد أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا ـ فلسطين ـ بينما نحاول تأمين استخدامهم وتشغيلهم في بلدان العبور». راجع كتاب: «يوميات هرتزل» ط 2 بيروت 1973م. مصدر سابق ص218.

فما المراد بالاستئصال؟ طرد أبناء إسرائيل كما قيل، ونُسب إلى الرئيس «عبدالناصر» بإلقائهم فى البحر؟ أم مجرد تخلى إسرائيل عن طبيعتها الصهيونية بعد تحجيمها؟ وهل أى تحجيم لإسرائيل يسمح بالطمأنينة للمستقبل، بأن إسرائيل لن تعود إلى بناء فلسفة جديدة للصهيونية فى أمد غير منظور؟، وهل هذا الطرد يمتد أيضًا إلى أولئك الذين وُلدوا على أرض «فلسطين» ولو فى ظل السيادة الإسرائيلية؟

ما هى الشروط اللازمة من الوجهة النظرية لاستئصال إسرائيل بأى من المعنيين السابقين؟

استئصال إسرائيل لن يتم إلا فى إطار من اثنين، كل منهما يملك مقدماته ومستلزماته:

1 ـ **الإطار الأول، وهو إطار دولى** تهزم فيه الولايات المتحدة، ومن ثم تصير إسرائيل فى عداد الطرف الخاسر. هذا الإطار يفترض حرب عالمية تُهزم فيها الولايات المتحدة هزيمة ساحقة، ويقنع الطرف الآخر بضرورة أو إمكانية اختفاء الدولة الإسرائيلية.

2 ـ **الإطار الإقليمى**، وهو إطار يفترض التفوق الحقيقى للقدرة العربية فى مواجهة إسرائيل من جانب، ثم توحيد الجانب العربى من جانب آخر، وحرب تُهزَم فيها إسرائيل هزيمة كاملة، وأخيرًا تصميم القوى الدولية على ترك إسرائيل لمصيرها دون أى مساعدة.

فى جميع النماذج السابقة، فإن الاستئصال يأخذ الصورة العضوية. ولكن **هناك أيضا الاستئصال المعنوى**، الذى يتحقق بتوفر عنصرين أساسيين: التخلى عن الطبيعة[1] الصهيونية للدولة من جانب، واستبعاد فلسفة السيطرة والتحكم فى المنطقة من جانب آخر. ويجب أن نتذكر أن كلاً من هذين العنصرين مستقل عن الآخر، ورغم أنه فى الوقت الحاضر يبدو أن كليهما مترابط مع الآخر، وبعبارة أخرى: فإن الطبيعة الصهيونية تفرض التوجه إلى التوسع، ولكنه قد يختفى عنصر الطبيعة الصهيونية، ويظل التوجه نحو التوسع والهيمنة. والاستئصال المعنوى لن يكون كاملاً إلا إذا تحقق تهذيب لكلا العنصرين.

كذلك فإن الاستئصال العضوى قد يتم دفعة واحدة، وقد يتم بطريق التدرج.

الأولى ـ وهو يعنى الحرب الكلية الشاملة، وقد سبق أن رأينا ذلك قد يتم من خلال الإطار الدولى، وقد يكفيه التعامل من خلال الإطار الإقليمى، ولكن ما يجب أن نتذكره، هو أن الاستئصال الممكن أن يأخذ صورة متدرجة. وقد أتيح للعالم العربى تحقيق هذا الهدف عقب الوحدة بين مصر وسوريا.

ما معنى الاستئصال المتدرج ؟

محوره الحقيقى هو الهزائم المتتابعة مع تقديم أدوات مساندة، بحيث تضخم من دلالة

---

(1) وهذا أمرٌ مستحيل إلا إذا أُجْبِرَ الصهاينة على ذلك إجبارًا. هكذا علّمنا القرآن وسنة النبى محمد ﷺ والتاريخ (الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير). د. صلاح عبد الفتاح، دار القلم دمشق: 1407/ 1987.

الهزيمة، سواء بخلق الاضطراب وعدم الثقة الذى يدعم الهجرة من الداخل إلى الخارج ويوصد الهجرة من الخارج إلى الداخل، سواء بشن الحرب النفسية الفاعلة التى تقود إلى الانقسام فى داخل المجتمع، واتجاه أجزاء منه إلى التوافق مع العدو المتربص على الحدود، وخصوصاً بالنسبة لليهود الشرقيين دون الحديث عن المواطنين العرب.

الوحدة بين «مصر، وسوريا»، كان من الممكن أن تكون أساساً لتحقيق هذا الهدف، أى الاستئصال العضوى بطريق التدرج. ولنخلق القناعة بذلك علينا أن نتذكر ثلاث حقائق:

الأولى ـ وتدور حول الضعف الحقيقى العسكرى والاستراتيجى لإسرائيل فى تلك الفترة، أى ما بين تاريخ الوحدة المصرية السورية، وحتى عام 1965.

الثانية ـ وتنبع من خصائص الإطار الدولى، حيث العلاقات بين «موسكو، وواشنطن» كانت تسمح للقدرة العربية بقسط معين من التلاعب، وخصوصاً أن «واشنطن» لم تكن بعد قد ألقت بنفسها تغازل «تل أبيب» وتحيل منها أداتها الوحيدة فى المنطقة، بل إن الولايات المتحدة عقب مقتل «كنيدى» كانت تعيش فى أزمة قيادية حقيقية.

الثالثة ـ وتنبع من الهالة التى كانت قد أحاطت بـ «جمال عبد الناصر» عقب تحقيق الوحدة.

الوحدة المصرية السورية كانت تفترض فى القيادة العربية صفات ثلاث بعد النظر وترك الأنانية جانباً، والقدرة على تكتيل القوى، مهما كانت الخلافات، وهى لذلك كان يجب أن تسير فى طرق ثلاث: **أولا** ـ تدعيم الوحدة التى لا تخلق الحساسيات، ولكن تلهب المشاعر، وقد تمركزت الإرادات حول **التخلص** من إسرائيل. **ثانيا** ـ ترك ـ جانباً ـ كل ما عدا استئصال إسرائيل مع التخطيط لذلك بعلم ودراية، وليس بالهوجائية التى عرفناها. **ثالثا** ـ اختراق الإطار الدولى، وبصفة خاصة من خلال استغلال العزلة التى كانت تعيشها إسرائيل.

التخطيط لاستئصال إسرائيل كان يجب أن يتدرج فى خطوات ثلاث:

الأولى ـ المطالبة بتنفيذ قرار التقسيم بحرفية. الإطار الدولى كان يسمح بذلك، بل وجد فى بعض الدوائر الأوربية من كان يتحدث بصوت غير مسموع عن ذلك، وبصفة خاصة فى «الفاتيكان وبريطانيا»، وعقب دعاية قوية. وبطبيعة الحال لتأكيد شرعية هذه المطالب وإعداد قوى لمعركة كان من الممكن وقد تكتلت الأمة العربية فرض ذلك على إسرائيل بالقوة.

الثانية ـ الخطوة الثانية أكثر صعوبة، ولكن النجاح فى الأولى يمهد لهذه الخطوة الثانية، وهى انتزاع صحراء «النقب» من إسرائيل. إن احتلال إسرائيل لهذه الصحراء أدى لأول مرة فى تاريخ المنطقة إلى فصل ما بين شرق قناة السويس وغربها. وهذه الأرض الصحراوية لها قيمة استراتيجية للعالم العربى؛ لأنها تربط بين شطرى هذا العالم،

بينما هى لا قيمة لها بالنسبة لإسرائيل. هذه الدعوى التى تصلح لدعاية واسعة النطاق ومقدمة لشرعية فرض هذا الاقتطاع على إسرائيل، لن تستطيع إسرائيل أن تواجهها إلا بحرب تكون فيها هى الخاسرة.

الثالثة ـ وتأتى الخطوة الثالثة والأخيرة لتصفية الوجود الإسرائيلى من المنطقة وطرد يهود غرب أوربا، ليجدوا طريق العودة إلى ديارهم الأصلية، وكان من الممكن أن يتم ذلك فى خلال خمس سنوات، أى ما بين وحدة «مصر وسوريا» وعام 1965، كان من الممكن أن تستأصل إسرائيل كليًا من المنطقة لو وجدت القيادة الواعية المؤمنة.

نعلم ذلك الذى حدث، ولن نستطيع أن نصفه إلا بأنه الفرصة الضائعة. مثل هذا التخطيط لم يعد من الممكن اليوم تنفيذه لأسباب عديدة سوف نلمسها فيما بعد ونحن نفصل الواقع المعاصر، وخصائصه وكيفية التعامل معه.

وهذا يثير موضوعًا آخر يرتبط بالاستئصال العضوى للمجتمع الإسرائيلى، وهو ما تعود الفقه أن يسميه **حرب العصابات، أو الرفض المدنى**، والذى يبرز اليوم على السطح **باسم: الانتفاضة. مما لا شك فيه أن موضوع الانتفاضة أكبر من أن نتعرض له فى عجالة سريعة**، ولكن الأمر الذى لا شك فيه أن دراستى حتى اليوم لم تكن بالقدر الكافى، وأن مساندة الانتفاضة كذلك لم تخضع لأى تعامل جدى من جانب جميع القوى العربية، ولكن بعض الملاحظات المرتبطة بموضوع هذا التحليل أى إدارة الصراع جديرة بأن نتوقف إزاءها:

أولا ـ أن حرب التحرير الشعبية، أو ما يمكن أن يسمى: حركة الرفض فى داخل أرض «فلسطين»، هى حق مشروع. بعض المحللين يطرح التساؤل، حركة الرفض فى فلسطين هى أقدم حركات الرفض فى العالم المعاصر، ومع ذلك هى وحدها التى لم تحقق أى تقدم فلماذا؟ ويجيب هؤلاء على ذلك بسببين: **الأول** ـ طبيعة الأرض الفلسطينية وهى أنها لا تحتمل حرب العصابات، **والثانى** ـ وجود السلطة العسكرية المتمكنة من السيطرة، بحيث لا تسمح بذلك وهى قادرة على ذلك، على أن الواقع أن هذه التبريرات لا يمكن أن تتقبل ببساطة. إن حركة المقاومة الفلسطينية ينقصها أشياء. ويظهر أن هذه العناصر التى لم يُقدر لها أن تتوفر فى هذه الحركة قد اكتملت فى الفترة الأخيرة، وهو الأمر الذى فرض الانتفاضة.

ثانيا ـ أن خطر الانتفاضة الحقيقى هو فى تحولها إلى حركة عصيان مدنى، وذلك بصفة خاصة عندما تتسع الانتفاضة لتشمل أيضًا السكان العرب فى الأرض التى تسمى بأرض إسرائيل، وهى ـ هذه الحركة، وبصفة خاصة ـ لو استمرت من جانب، ولو استطاعت من جانب آخر أن تجذب إليها الرأى العام الدولى أولاً، وقسمًا من الرأى العام

الداخلى وحتى ولو من خلال الشعور بفشل المشروع الصهيونى ثانيًا، فإنها قادرة على خلق تحلل فى الجسد الإسرائيلى لا حدود لنتائجه.

ثالثا ـ أن الانتفاضة كانت أمرًا متوقعًا، ونحن فى دراسة لنا جماعية أجريناها لحساب المنظمة العربية للتربية والثقافة تنبأنا بها منذ عام 1984، وقد كانت سببًا فى أن المسؤولين فى تلك المنطقة تقاعسوا عن نشر هذه الدراسة، والسبب فى ذلك حالة الاغتصاب المعنوى التى كان يعيشها المواطن العربى تحت الاحتلال الإسرائيلى. وعلم النفس يقرر بأن هناك حدودًا معينة للاغتصاب المعنوى لو تجاوزها، فإن رد الفعل يصير غير محسوب. إن هذا حدث فى «إيران»، وهو اليوم يحدث فى إسرائيل ولن يتوقف.

رابعا ـ أن ظاهرة الرفض الداخلية ـ بغض النظر ـ عن مسمياتها ـ هى إحدى الأدوات الحاسمة فى عملية الاستئصال، ولنتذكر أن الانتفاضة لا تسمح بالقبول بأنصاف الحلول. إن معناها امتداد الحق الفلسطينى على الأرض المحتلة، وعلى كل أرض «فلسطين» التى تستوعب فى تلك اللحظة كل ما يمكن أن يسمى بالأرض الإسرائيلية. الانتفاضة فى الأمد البعيد لا تسمح بالخيار، إما الكل أو استمرارية الصدام.

وهذا يقودنا إلى متابعة فكرة الاستئصال بطريق التدرج عقب حرب الأيام الستة فى خضم المدركات المتعددة المتعلقة بفلسفة التعامل مع مشكلة الوجود الصهيونى. ظهرت فى صورة واضحة مرة أخرى فلسفة الاستئصال بطريق التدرج، ورغم أن المدرسة التى نبتت فى الأوساط المصرية المسؤولة، والتى قدم لها قبل ذلك «الحبيب بورقيبه» والتى اكتملت مع «السادات» فتحت الباب واسعًا أمام مدرسة لم يتقبلها رجل الشارع، والتى أساسها العمل على تحجيم إسرائيل وإعادتها إلى حجمها الحقيقى، من خلال العمل السياسى والدبلوماسى، ولو خلال الجيل الحالى. إلا أنه وجدت إلى جانبها صيغة مطورة لفكرة الاستئصال من خلال التتابع المرحلى، وخلاصتها: أن المرحلة الأولى تكون العودة إلى حدود ما قبل 1967، مع ما يعنيه ذلك من إمكانية إنشاء دولة فلسطينية فى الأرض المحتلة، ثم تعقب ذلك مراحل أخرى بالتتابع ـ الذى سبق وذكرناه.

الجوهر فى هذه المدرسة هو استغلال السلوك الإسرائيلى أساسًا لتحطيم الدولة الإسرائيلية. **أولا** ـ السلوك العدوانى فى حرب 1967. **ثانيا** ـ السلوك الاستفزازى فى عدم احترام قرار التقسيم، وكل هذا إعداد للوثبة الأخيرة، حيث تتم عملية الاستئصال.

على أننا بهذا الخصوص ـ أى بصدد الفكر العربى الجديد اللاحق لمأساة حرب يونيو 1967 ـ يجب أن نلاحظ عدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى ـ أن الاستئصال بطريق التدرج لا يفترض الحرب الكلية الشاملة، ولا يفترض التضامن العربى ـ رغم أن ذلك أمر يجب أن نسعى إليه ـ إلا أن دولة واحدة

من الدول الكبرى المحيطة بإسرائيل قادرة على التخطيط لاستئصال الدولة اليهودية، بطريق التدرج وبصفة خاصة «مصر، أو سوريا أو العراق»، فإذا حدث توافق فقط بين دولتين، كما حدث فى حرب أكتوبر، فإن فى هذا لكفاية، ويجب أن نضيف بأن حرب الاستنزاف التى انطلقت من نفس المفهوم، كانت حربًا فقط مصرية. كذلك نستطيع أن نعيد إلى نفس هذا التصور مفهوم التوازن الاستراتيجى بين «سوريا، وإسرائيل».

الملاحظة الثانية ـ أن الاستئصال بطريق التدرج يصير عملية متتابعة، تفترض طول الفترة الزمنية والإعداد الدقيق للمراحل المتتابعة مع خطة واضحة لكل مرحلة بالنسبة للدولة أو الدولتين اللتين سوف يقع عليهما عبء هذه المواجهة. وهنا نفهم أحد أسباب فشل حرب أكتوبر فى تحقيق هدفها. لقد دبت الخلافات بين «مصر وسوريا» عقب الأيام الثلاثة الأولى من المعركة، والمتتبع لوقائع تلك المعركة، لابد وأن يعترف بأن حُسن النية بين القيادتين لم يكن متوفرًا، وأنه بقدر مسؤولية الرئيس «السادات»، فإن مسؤولية الرئيس «حافظ الأسد» لا تقل فى الوصول إلى النتيجة التى انتهت إليها حرب أكتوبر.

الملاحظة الثالثة ـ أن هناك عقدة متغلغلة فى النفس الصهيونية، والتى أسميناها فى مؤلفاتنا: عقدة الاغتصاب. إن كل يهودى يعتقد أن كل من حوله يريد اغتصابه لإذلاله، وهو لذلك لا يرى فى أى حركة تتجه إليه إلا جزءًا من عملية الاغتصاب. اليد التى تتقدم لتحضنه، إنما تريد أن تشل حركته لتسهل الاعتداء عليه. هذه العقدة المتغلغلة فى النفس اليهودية تفسر جميع السلوكيات السياسية على مستوى الفرد وعلى مستوى القيادة، وهى ليست إلا التعبير الصريح عن الخوف من احتمالات الاستئصال، بل والوصول بذلك إلى حد اختلاف تلك الاحتمالات، وجعل ذلك الاختلاف أساسًا لكل سلوك دولى.

أسلوب الإذابة بالتسلل من الداخل:

هذا الأسلوب يخلط بين منهاجين: التسلل من الداخل، والإذابة أو التآكل من ناحية أخرى. ولأول وهلة قد يبدو أن المنهاجين يعكسان أسلوبًا واحدًا، ولكن هذا غير صحيح، فالتسلل من الداخل يعنى أن التعامل الدولى يأخذ مرحلتين: **الأولى** ـ هى إضعاف الجسد من الداخل، أى فى مقوماته الذاتية. **والثانية** ـ تأتى وقد أضحى الجسد متهتكًا يعانى من أزمات داخلية فتصير الضربة أكثر فاعلية ونتائجها أكثر قسوة والاحتواء أكثر سهولة. هذا الأسلوب معروف منذ أقدم العصور، ولكن الفلسفة النازية هى التى رفعت من أهميته، وبنت على أساسه خطتها للحركة، وهكذا كانت هذه الحركة، أساسها إعداد الميدان الداخلى وضربه من خلال فكرة الطابور الخامس. وظيفة الطابور الخامس هى الحرب النفسية من جانب، وخلق القوى المعادية للسلطة الشرعية فى داخل المجتمع القومى من جانب آخر، ثم تأتى عقب ذلك الضربة القاصمة من الخارج، فتسمح بتحقيق الهدف بأقل قسط من الجهد

والتكلفة. «كيسنجر» بدوره فهم هذا التصور واستخدمه من منطلق فكرى آخر ليقود إلى نفس النتيجة. المنطلق أساسه أن السياسة الخارجية ليست مستقلة عن السياسة الداخلية، بل هى امتداد لها. السياسة الخارجية هى أداة لتنفيذ السياسة الداخلية، ومن ثم فإن التعامل الداخلى قادر على أن يطور الدولة فى تعاملها الخارجى. عندما أراد أن يتقارب مع «موسكو»، وكذلك مع «بكين»، كانت هذه هى أداته: التأثير فى الواقع الداخلى، **الأولى** من خلال معارض الموضة النسائية، **والثانية** عن طريق لقاءات البنج بونج. إقناع الرأى العام الداخلى بأن المجتمع يعيش حالة تأخر وتخلف، وأن هذا النموذج القادم من الخارج الأمريكى قادر على أن يفتح الأبواب، كانت الفلسفة التى استترت خلف فكرة الدورات المتتابعة من الفتيات الحسناوات التى حملت نماذج الملابس الأنيقة من «واشنطن» إلى «موسكو»، كان دائمًا بهزله المعتاد يحدث الأفواج النسائية المغادرة للعاصمة الأمريكية بقوله: افتحوا لنا حصون «الكرملين»، وهذا هو الذى حدث فعلاً.

الإذابة أو التآكل أسلوب آخر، وإن كان يؤدى إلى نفس النتيجة فى كل مجتمع توجد عناصر ضعيفة، سواء أخذت شكل الأقليات أو أخذت صورة الفئات المتضررة، أو التى تشعر بأنها مغبونة أو غير ذلك من عناصر الضعف. ترك هذه العناصر تنخر فى المجتمع بتلقائية مطلقة، أو بمساندتها يقود إلى إضعاف الجسد أو تآكله.

المجتمع الإسرائيلى نموذج صالح لعملية الإذابة والتآكل[1] الذاتى:

أولا ـ الخلاف العميق بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين.

ثانيا ـ الصدام بين اليهود والأقليات الأخرى العربية من مسلمين وغير مسلمين.

ثالثا ـ الصراع رغم ضعفه بين الصهيونيين وغير الصهيونيين.

رابعا ـ التنافس الحاد بين الحركة الصهيونية الاشتراكية العلمانية، والصهيونية اليمينية المحافظة الدينية.

هذه التناقضات ـ بغض النظر عن مستوياتها ـ تصلح لتدعيم عملية التآكل، ودفع هذه الخلافات لأن تبرز على السطح فى صورة عنيفة، تقود إلى صدامات قد تصل إلى حرب أهلية لو أحسن استغلالها.

الإذابة أو التسلل من الداخل بهذا المعنى، تستند من حيث نظرية إدارة الصراع إلى ثلاثة عناصر كل منها يكمل الآخر:

أ ـ معلومات دقيقة عن الواقع الداخلى ومتجددة، ولا يكفى بخصوص هذه المعلومات

---

(1) النظام السياسى فى إسرائيل، فوزى محمد طايل، دار الوفاء؛ إطار الحركة السياسية فى المجتمع الإسرائيلى، حامد ربيع، دار الفكر العربى، من يحكم فى تل أبيب، نفس المؤلف بيروت 1975؛ النموذج الإسرائيلى للممارسة السياسية، نفس المؤلف، القاهرة 1975.

الأرقام الصماء، بل يجب أنّ نتطرق إلى داخل النفس البشرية لاكتشاف حقيقة المبررات الدفينة ـ المفسرة والمبررة للمواقف الفردية والفئوية بصفة خاصة.

ب ـ وجود جهاز مخابرات حركى ـ أى أدوات محلية ـ تتبع الجهاز المخابراتى الخارجى، تذكرنا بأسلوب الطابور الخامس، حيث تتجمع عناصر تلك الأدوات فى إدارة واحدة تقع خارج الدولة، موضوع الهجوم تتولىٰ تحريكها.

جـ ـ أن يخضع كل ذلك لتخطيط ذكى يعرف كيف يستغل الإعلام فى كلا المجتمعين ـ المهاجم والمدافع ـ وكيف يستغل أداته الدبلوماسية، وكيف ينتفع بجميع علاقاته ومن بينها العلاقات الجامعية والثقافية من منطلق مبدأ توزيع الأدوار.

الرئيس «السادات» عندما بدأ التعامل السلمى مع إسرائيل كان ينطلق من هذا المبدأ، ولكنه انتهى بأن فتح الباب واسعًا لـ «تل أبيب» لتطويع المجتمع المصرى بهذا المعنى، دون أن ينجح هو فى تطويع المجتمع الإسرائيلى. لقد تصور أن «كامب ديڤيد» هى معاهدة موجهة ضد المجتمع المصرى، وليست معاهدة بين المجتمعين المصرى والإسرائيلى. وهذه هى حقيقة المأساة التى وقع فيها الرئيس «السادات» ومن كان حوله من المتعاونين، ولعله من المحزن أن نلحظ أن المأساة لا تزال، كما هى اليوم وعلى أشدها، ودون وعى حقيقى من جانب المسؤولين فى «القاهرة».

أسلوب التتابع فى الإرهاق :

محور هذا الأسلوب هو أربع حقائق يجب أن نبدأ بتحديدها :

الحقيقة الأولى ـ أن الجانب العربى هو الجانب الضعيف، وليس من المتوقع التخلص من الضعف الذى يعانى منه هذا الجانب فى الأمد القريب.

الحقيقة الثانية ـ أن الجانب الإسرائيلى ـ رغم قوته ـ لا يستمد تلك القوة من قدراته الذاتية، ولكن من مصادر خارجية؛ ولذلك فإن أهم ما يجب أن نحققه ـ كخطوة ثابتة ـ هو قطع مصادر التموين بالقوة ولو نسبيًا.

الحقيقة الثالثة ـ أن الإطار الدولى سوف يظل مع بقاء إسرائيل، ولن يقبل استئصال إسرائيل بأى معنى من معانيه، ومن ثم تصير أحد أهدافنا الأساسية هو تحييد الإطار الدولى ـ ولو فى لحظة قصيرة ـ تكون هى اللحظة الحاسمة فى إدارة الصراع، عندما تنهال بكل قواتنا بالمطرقة التى سوف تستأصل إسرائيل.

الحقيقة الرابعة ـ أن خير استراتيجية للتعامل مع إسرائيل هى استراتيجية «الفيل» والتى معناها:

أولا ـ الضرب فى الأطراف.

ثانيا ـ الضرب من بعد.

ثالثا ـ الإرهاب كمقدمة للنيل النهائى ، عندما يرقد «الفيل» منهكًا غير قادر على الحراك.

رابعا ـ خاتمة المطاف هى ضربة قاصمة تضع حدًا للوجود.

ماذا يعنى ذلك ؟

أ ـ أسلوب التتابع فى الإرهاق بهذا المعنى ـ الذى هو فى جوهره التنقل من أسلوب إلى آخر ـ يجعل نصب عينيه أمرين: **الأول** ـ أن الخطوة النهائية هى ضربة حاسمة تقضى على إسرائيل نهائيًا. **الثانى** ـ أنه حتى يحين تلك اللحظة فهو لا يقتصر على رفض الوجود الإسرائيلى، بل إنه يتعدى ذلك بأن يدفع بالمشروع الصهيونى للفشل، وإثبات أن هذا المشروع غير قابل للحياة. إنه بعبارة أخرى يميز بين مرحلتين من مراحل التعامل ـ مرحلة إنهاك الخصم وانتزاع كل عناصر القوة من جسده، ثم مرحلة الإجهاز على الخصم. ومن ثم فهو مهما تنوعت أساليبه فى التعامل، فهو يؤمن بأن المرحلة النهائية سوف تعاصر الاستئصال الحقيقى للدولة الإسرائيلية.

ب ـ خلال مرحلة الإرهاق، فهو يؤمن بثلاثة مبادئ يكمل كل منها الآخر:

الأول ـ مبدأ التضامن العربى الكامل.

الثانى ـ مبدأ توزيع الأدوار.

الثالث ـ مبدأ المرونة فى الحركة، والتى أحد مظاهرها التقدم خطوتين والتراجع خطوة.

هذه المبادئ الثلاث تكون فلسفة التعامل. أول هذه المبادئ أن المعركة على مستوى التعامل هى معركة كل العرب، ويجب على كل قيادة عربية أن تسهم بدورها فى تلك المعركة، وفى هذا المستوى من يتخلف عن المعركة يجب استئصاله بلا رحمة، فليس له موضع بيننا، ليس هناك موضع لخلاف حول الحد الأدنى للأمن القومى العربى، والحد الأدنى هو استئصال إسرائيل، فهى التى تتصدر قائمة أعدائنا. الجوقة العربية يجب أن تتحرك حيث كل دولة، وكل جماعة سوف يكون لها دورها بمرونة وبتخطيط حصيف.

جـ ـ الأدوات فى خلال هذه المرحلة من أى مرحلة الإعداد والترقب ـ عديدة:

أولا ـ التعامل من الداخل بقصد تدعيم عملية التآكل بجميع أدواتها، منها استغلال حركة الانتفاضة.

ثانيا ـ حروب الاستنزاف التى تقوم بها بطريقة دورية ومتتابعة الدول المحيطة بإسرائيل، وهى خمس «مصر، والسعودية، والأردن، وسوريا، ولبنان»، ولا يعنينا هنا أن تهزم إحدى هذه الدول فى معركة أو تنتصر فى معركة، ولكن المهم أن الإرهاق يستمر بالتنقل المستمر الفجائى من دولة لأخرى.

ثالثا ـ عملية تبادل المواجهة بين الأطراف المتعاملة والمحيطة بإسرائيل، وهو يكمل الأداة الثانية، فعندما يشتد الضغط فى حرب الاستنزاف على دولة من الدول الخمس، تحمل الشعلة دولة أخرى لتخفف عبء حرب الاستنزاف، بل وترفع من درجة حرب الاستنزاف، بحيث تصير حرب مواجهة محدودة ـ أو حرب استنزاف إيجابية ـ تصاحبها عمليات اختراق جزئية.

رابعا ـ وفى جميع الأحيان يستخدم جميع الأدوات ـ وبصفة خاصة الأداة العسكرية والدبلوماسية والإعلامية ـ بتخطيط متكامل ليس أساسه الادعاء، ولكن أساسه الأوحد **و ضع الرجل السليم فى المكان السليم.**

د ـ ويرتبط بذلك إعداد الإطار الدولى للتعامل. يجب أن ننظر إلى هذه العملية نظرة أكثر جدية، فلنترك جانباً المهاترات والتى عاش كاتب هذه الأسطر جزءاً منها، ولمسها بنفسه فى جامعة الدول العربية، وفى المنظمة العربية للتربية والثقافة، وفى وزارة الخارجية العراقية، وفى مراكز صنع القرار فى القاهرة، وفى إدارة حزب البعث بدمشق، لا أريد نشر الغسيل القذر، ولكن لو ارتفع صوت واحد يشكك فيما أقول، فنحن على استعداد للتحدى[1]، ولإبراز الوثائق، ورغم علمنا أن هذا ليس وقته. لقد آن الأوان ليعرف[*] كل قائد، وكل مسؤول عربى حقيقة إمكانياته، وأن يكمل ذلك بمن هو قادر. والسياسة الدولية لم تعد صنعة الهواة، ويجب أن نضع فى أذهاننا أن الإطار الدولى والتعامل معه يفترض:

أولا ـ تحييد القوى الكبرى فى التعامل مع المنطقة.

ثانيا ـ التواجد فى كل مكان. استطاعت الصهيونية أن تتغلغل فى داخله.

ثالثا ـ إنشاء رأى عام دولى متعاطف مع القضية العربية.

رابعا ـ تنظيم عملية التبكيت فى الضمير الدولى.

خامسا ـ استخدام المنظمات الدولية بما فى ذلك محكمة العدل الدولية، أداة أساسية فى عملية الصراع الدولى، حول تشويه الصورة القومية الإسرائيلية.

هـ ـ وذلك كله إعداداً لمرحلة الضربة القاضية ـ التى قد تأتى غداً ـ وقد تحتاج إلى عدة أجيال، ولكن ذلك الذى يجب أن نتذكره بهذا الخصوص، والذى يجب أن يكون واضحاً فى ذهن القيادة العربية:

---

(1) وهذا الفكر الواعى المستنير للدكتور حامد ربيع وموقعه بجامعة القاهرة كأستاذ ومُربى. نعتقد أن هذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة وغيرها كثير ـ تجعل العدو اليهودى أو «الموساد» أو أحد عناصر الصهيونية العالمية يقوم باغتياله، وهذا ما أكدته الصحافة ليُسكتوا مثل هذا الصوت. راجع جريدة الوفد يوم 1995/1/18 تحت عنوان: ربيع وجمال حمدان.. نهايات مفتوحة ـ أحمد المسلمانى.

(*) وهذا هو الذى دفعنا لمواصلة تقديم النصح والإرشاد، وإظهار البيان، إبراءً للذمة.

أولا ـ أنها مهما تأخرت فسوف تأتى، بل وقد نستطيع أن نفرض على إسرائيل أن تسعى إليها.

ثانيا ـ أن علينا أن نسير فى هذا الهدف بتؤدة وصبر، لا نتعجل تلك اللحظة، ولكن على أن نكون على أتم الاستعداد لها.

ثالثا ـ أنه لا يوجد ما يمنع من العمل فى سبيل نضج تلك اللحظة، ولكن على أن نكون على أتم الاستعداد لها.

لو نتذكر بذلك الخصوص حقيقتين:

الأولى ـ أننا لا نريد أن نقضى على المجتمع اليهودى، بل على الدولة الإسرائيلية، وأن المجتمع اليهودى مستقبله مقيد باستيعابه فى المجتمع العربى، ليصير جزءًا من أجزاء ذلك المجتمع ـ كما هو حادث ـ سواء فى المجتمع الأمريكى أو المجتمع الروسى.

الثانية ـ أن إمكانياتنا فى المعركة الحاسمة عديدة، ويجب أن تخضع تلك المعركة بدورها لمبدأ توزيع الأدوار، يجب أن يكون حصارنا وتعاملنا مع دولة إسرائيل ساحقا ومدمرا، موقع إسرائيل الاستراتيجى ضعيف، ومن الممكن حصارها، ورغم أن هذا ليس موضوع هذه الدراسة، **فلنتذكر المبادئ الأساسية**:

1 ـ **هجوم مكثف مفاجئ بالصواريخ القصيرة المدى من جانب «الأردن»، يرافقه هجوم بالصواريخ المتوسطة المدى من الجانب السورى يسمح بتحطيم القنابل النووية ومنع الاحتياطى الإسرائيلى من التجمع.**

2 ـ **خروج الأساطيل الليبية والجزائرية والمغربية لقطع المواصلات وحصار إسرائيل، ومن ثم منع تقديم أى معونة أو اتصال بحرى، ولو اضطرت تلك القيادات لضرب إحدى قطع الأسطول الأمريكى من الجو للإنذار والتخويف.**

3 ـ **عملية إنزال للضفادع من «مصر وسوريا» ترتبط بحركة انتفاضة ضخمة لخلق الشلل الكامل فى جميع مرافق الاتصال فى داخل إسرائيل، ويرتبط بذلك ضرب مكثف للسواحل الإسرائيلية.**

4 ـ وفى خلال ذلك ـ تكون قد تمت عملية الإحاطة الميدانية بإسرائيل من الجيوش الأربعة «العراق، وسوريا، السعودية، مصر».

5 ـ وعقب ذلك يبدأ الزحف الجبهوى، وقد تجمعت قوات تزيد على خمسة ملايين جندى، تصاحبها قرابة ستة آلاف دبابة تتجه نحو إسرائيل فى إطار محكم، حتى إذا اقتربت من إسرائيل تفرعت إلى عدة جبهات، كل منها تسعى للاختراق فى إحدى النقط

الحدودية، ويكفى اختراق واحد للإحاطة والحصار للقوات الإسرائيلية.

هذه المبادئ العامة فى حاجة إلى تفاصيل ـ ليس هذا موضعها ـ ولكن حول نقطتين يجب الاتفاق عليها:

الأولى ـ التخطيط العربى المتكامل لتنفيذ مثل هذا المخطط.

الثانية ـ ضرورة وضوح التصور بكيفية استيعاب المجتمع الإسرائيلى المهزوم فى داخل المجتمع العربى، لينصهر فى بوتقة الأمة العربية، وبحيث لا يستطيع العودة إلى تجمع إقليمى آخر يهدد الوجود العربى بأى صورة كانت.

ولكن هل تستطيع القيادات العرْبية الحالية أن ترتفع إلى مستوى المسؤولية الحقيقية؟

سؤال آخر ليس هذا موضع الإجابة عليه.

obeikandl.com

المراجع

1 ـ أزمة شيشان، لواء أ. ح. د. فوزى محمد طايل ـ مركز الإعلام العربى، ط1 عام 1994.

2 ـ أهداف إسرائيل التوسعية، لواء. محمود شيت خطاب ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.

3 ـ الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ومحاورات جارودى بالقاهرة ـ دار الغد العربى ـ ط2، 1997.

4 ـ الأهرام الاقتصادى (كتاب 1988) ـ بقلم دينا جلال «المعونة الأمريكية لمن؟ لمصر أم لأمريكا؟».

5 ـ الدولة العثمانية «دولة إسلامية مفترى عليها» أ. د. عبد العزيز الشناوى (3 أجزاء) مكتبة الأنجلو المصرية.

6 ـ الطريق إلى بيت المقدس. د. جمال عبد الهادى مسعود ـ جزء ثان ـ دار الوفاء ـ المنصورة.

7 ـ النظام السياسى فى إسرائيل ـ لواء أ. ح. د. فوزى محمد طايل ـ دار الوفاء طبعة 2، عام 1992.

8 ـ أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ، ذرية إبراهيم عليهم السلام والمسجد الأقصى، د. جمال عبد الهادى مسعود، د. وفاء محمد رفعت، دار الوفاء ـ المنصورة.

9 ـ العالم الإسلامى، إفساد التعليم لمصلحة من؟، سعيد عبد الحكم زيد، مكتبة وهبة، القاهرة.

10 ـ البعد الإسلامى فى أزمة الخليج، ترجمة وتعليق: لواء أ. ح. د. فوزى محمد طايل. تقديم أحمد رائف.

11 ـ المؤامرة على التعليم والمعلم ـ صلاح الدين محمود وآخرون ـ دار الوفاء ـ المنصورة.

12 ـ احتواء العقل المصرى، والتى نُشرت فى كتاب تحت عنوان: «قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية، (الاستعمار والصهيونية وجمع المعلومات عن مصر) الكتاب الرابع.

13 ـ جذور البلاء، عبد الله التل، المكتب الإسلامى، دمشق 1978.

14 ـ «جارودى والإسلام وغضب الصهيونية» محمد فوزى ـ المركز العربى للنشر والتوزيع.

obeikandl.com

15 ـ جريدة عرب تايمز، العدد 107، بتاريخ 11 : 20 ديسمبر 1992، ص 38.

16 ـ جريدة الأهرام المصرية، بتاريخ 18 يونيو 1996.

17 ـ جريدة الأهرام المصرية، بتاريخ 23 يوليو 1996.

18 ـ جريدة الأهرام المصرية، بتاريخ 30 يوليو 1996.

19 ـ كارثة الخليج وأزمة الشرعية فى العصر الأمريكى د. محمود عصفور ـ دار القارئ العربى.

20 ـ مقالات د. حامد عبد الله ربيع ـ الأهرام الاقتصادى، الأعداد 734: 739 تحت عنوان: احتواء العقل المصرى.

21 ـ مجلة استراتيجيًا الأعداد: 97 السنة التاسعة، مارس 1990.

98 السنة التاسعة، أبريل 1990.

100 السنة التاسعة، يونيو 1990.

101 السنة التاسعة، يوليو/ أغسطس 1990.

102 السنة التاسعة، سبتمبر/ أكتوبر 1990.

104 السنة التاسعة، يناير/ فبراير 1991.

106 السنة التاسعة، مايو/ يونيو 1991.

107 السنة التاسعة، يوليو/ أغسطس 1991.

108 السنة التاسعة، سبتمبر/ أكتوبر 1991.

111 السنة التاسعة، مارس/ أبريل 1992.

112 السنة التاسعة، مايو/ يونيو 1992.

22 ـ نحو نهضة أمة (كيف نفكر استراتيجيًا) لواء أ. ح. د. فوزى محمد طايل، مركز الإعلام العربى، طبعة أولى عام 1997.

23 ـ نظرية الأمن القومى العربى، د. حامد عبد الله ربيع ـ دار الموقف العربى.

obeikandl.com

obeikandl.com

تعريف بالمؤلف

* حامد عبد الله ربيع
* ولد فى 24 / 4 / 1924
* حصل على البكالوريا عام 1942
* حصل على الدكتوراه الخاصة فى العلوم 1954
* حصل على دكتوراه العلوم السياسية 1962

مناصبه

* أستاذ مساعد بكلية الحقوق ـ جامعة القاهرة.
* عمل مساعداً لكرسى القانون العام بجامعة باريس من 1962 : 1964
* عُين أستاذًا للنظرية السياسية فى كلية الاقتصاد عام 1967
* أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة.
* أستاذ ورئيس قسم الدراسات القومية بمعهد الدراسات العربية.
* أستاذ خارجى بجامعات ـ الخرطوم ـ بغداد ـ روما ـ باريس

مؤلفاته

* له مؤلفات تزيد عن الخمسين مؤلفًا، بالإضافة إلى عشرات الأبحاث والمقالات وعشرات من الرسائل العلمية التى أشرف عليها.
* له ثلاثة عشر مؤلفًا باللغات الفرنسية والإيطالية.
* له مؤلفات ذات طابع علمى متخصص فى العلوم السياسية أهمها:

1 ـ مستقبل الإسلام السياسى. 2 ـ الإسلام والقوى الدولية.
3 ـ الأصول الإسلامية للنظرية السياسية فى التقاليد الغربية.
4 ـ سلوك المالك فى تدبير الممالك (تحقيق).

* **له مؤلفات على شكل مذكرات لطلبته مثال ذلك:**

1 ـ نظرية القيم. 2 ـ الإسلام والقومية.
3 ـ تطور الفكر السياسى الإسلامى.

** يقال إنّه أغتيل على يد الصهيونية العالمية فى بيته يوم الأحد 10 سبتمبر 1989 (راجع فى ذلك جريدة الوفد المصرية بتاريخ 18 يناير 1995 تحت عنوان: «ربيع وجمال حمدان نهايات مفتوحة» بقلم: أحمد المسلمانى).

obeikandl.com